

جوني منصور | Johnny Mansour <sup>(١)</sup>

## صدى تصريح بلفور في فلسطين وخارجها

من صدوره في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917 إلى افتتاح مؤتمر فرساي  
في 19 كانون الثاني / يناير 1919

The Impact of the Balfour Declaration inside and outside Palestine over one year

from its publication November 2, 2017 to the opening of the Conference of Versailles  
January 19, 1919

شهدت السنة التي تلت صدور "تصريح بلفور" ، في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917، مجموعًة من الأحداث السياسية والميدانية على الساحات الفلسطينية والصهيونية والبريطانية والعربية والدولية، أبرزها الصوت الفلسطيني والعربي المناهض للمشروع الاستعماري - الاستيطاني؛ أي البريطاني - الصهيوني.

تفحص هذه الورقة تصرف الإنكليز، والصهيونيين، والفلسطينيين، والعرب، وردود أفعالهم.

### أولاً: قلق الأطراف

عملت الدوائر الدبلوماسية البريطانية فور صدور تصريح بلفور على ألا تؤدي مشاعر العرب، ونشر خبر صدور التصريح في جريدة المقطم، في 10 تشرين الثاني / نوفمبر 1917، أي بعد أسبوع من صدوره.

لقد استولت مشاعر قلق على عدد من سياسي الإنكليز وعسكرييهم من جراء القلق العربي الذي بدأ التعبير عنه فور نشر التصريح، إضافة إلى إرسال الأتراك والألمان خبراً عن الاتفاق الإنكليزي - الفرنسي (اتفاق سايكيس - بيكوك) إلى فيصل بن الحسين في 4 كانون الأول / ديسمبر 1917، علماً أنّ بريطانيا حاولت جاهدة إخفاء التصريح<sup>(٢)</sup>؛ لهذا استولت على هؤلاء مخاوف من الألمان والأتراك باستغلال هذا التصريح والاستفادة منه ومن الاتفاقية، لتعزيز الدعاية المناوئة لبريطانيا ومحاولة استعادة العرب إلى أحضان الدولة العثمانية.

كيف عملت بريطانيا على إنقاذ الموقف مع العرب؟

تمثل أول عمل بقيام مارك سايكيس بعرض خطة مفادها أن هناك مكاناً لكلا القوميتين العربية واليهودية في المنطقة لعملاً معًا وتسعياً لإحياء الشرق، إضافة إلى أهمية التعاون مع الأرمن. فالأتمن كانت لهم مطالب، أبرزها إقامة دولة أرمنية لهم في أعقاب المذابح التي تعرضوا لها خلال الحرب، والوعود التي تلقواها من بعض زعماء الغرب. ولتحقيق غرض التعاون بين هذه الأطراف الثلاثة التي

<sup>1</sup> محاضر في قسم الدراسات التاريخية بالكلية الأكاديمية في الجليل، فلسطين المحتلة.  
Lecturer in the Department of Historical Studies, Academic College, Hebron, Occupied Palestine.

<sup>2</sup> جورج أنطونيوس، يقطة العرب (بيروت: دار العلم للملائين، 1978)، ص 375.

كونتها ببريطانيا، بادر سايكس إلى تشكيل لجنة مشتركة برؤاسته وعضوية لحايم وايزمن عن المنظمة الصهيونية، وجيمس مالكولم عن الهيئة الأرمنية، وعدد من العرب سنذكر أسماء بعضهم لاحقاً في سياق مرتبط بهم<sup>(3)</sup>.

و عمل سايكس بالتنسيق مع جيلبرت كلايتون<sup>(4)</sup> على وضع قرار بفرض الأمر الواقع. وما جاء فيه: "إن الحلف الصهيوني الأرمني، يعرض التعاون مع العرب والسوبيين ويعطي أملاً حقيقياً للمستقبل العربي [و] المصالح الأرمنية والصهيونية تتطلب أن تكون سوريا والعراق في وضع مستقر ومزدهر في ظل حكم إيجابي [...]. وعلى العرب أن يلاحظوا أن الصهيونية أمرٌ حتمي [...] والتحالف معها ضمان للاستقلال العربي النهائي، ومعاداتها تقود إلى الركود السوري العربي"<sup>(5)</sup>.

كان هم بريطانيا، في السنة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، هو السعي لاحتواء العرب، أو الالتفاف عليهم، مستفيدة من وجود فيصل بن الحسين وإخوانه إلى جانبها. وكانت خطة كلايتون ورونالد ستورز تستهدف إقامة مملكة عربية كونفدرالية تستبعد منها فرنسا<sup>(6)</sup>.

انصبّت محاولات سايكس في ميدان إظهار قدرات العرب واليهود معاً عبر الزمن، وضرورة التعاون بين الشعرين. وكان كل همه هو إزالة مخاوف العرب وقلقهم؛ وذلك بأن يُظهر اليهود على أنهم مستعدون للتعاون، وأن هؤلاء اليهود لا ي يريدون السيطرة على فلسطين، ويرى سايكس أهمية قيام مبادرة صهيونية للتوفيق بين الأديان الثلاثة، وإلا فسيكون نزاع شديد في المنطقة. بمعنى آخر، يميل سايكس إلى استغلال المكون الديني لخدمة أجندته في استئمالة العرب إلى جانب سياسة بريطانيا الهدافة إلى عدم التنازل عن تصريح بلفور بأي ثمن كان.

لم يكن حايم وايزمان وحده في الميدان الصهيوني؛ إذ نشط أيضاً ناحوم سوكولوف رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية في تأكيد أهمية التعاون بين اليهود الصهيونيين والعرب والأرمن لفائدة كل الأطراف والمنطقة عموماً. وأبرز وايزمان أهمية مساهمة اليهود في بناء مستقبل المنطقة بعقرديتهم التراكمية عبر السنوات.

أما كلايتون فلم يكن في مستوى حماس سايكس نفسه؛ ذلك أنه رأى جفاء كبيراً قائماً بين العرب واليهود والأرمن، ولم يكن ثمة أي تحالف سابق بين هذه المكونات الثلاثة، ولم ير في ذلك أي فرصة لمصالح بريطانيا<sup>(7)</sup>. ونظر إلى الحاضر، وليس إلى الماضي. وهذه نظرة صارمة ومتشددة وواقعية<sup>(8)</sup>.

وبلغت المخاوف أروقة السياسة الفرنسية؛ حيث عبر فرانسوا جورج -بيكو عن امتعاض العرب، بل غضبهم من صدور تصريح بلفور. وفي المقابل، أخذت تنتشر حالة من رفض مقتراحات خطة سايكس. ومع كل هذا فإن بيكر يؤيد التصريح ولا يتراجع عن موقفه، لكنه يطالب حلفاء الإنكلترا بالتريث قليلاً قبل اتخاذ أي خطوة كي لا "نخسر العرب".

الأفكار التي تناقلها سايكس وبيكو تسعى للوصول إلى نقطة التفاuf على العرب لإيقائهم ضمن دائرة الحلفاء، بالرغم من قوة الدعاية الألمانية - التركية في ذلك الوقت. لكن ويليم بيل، مندوب الخارجية الأمريكية في القدس والشرق، يرى أن العرب سيقاومون بقوة محاولات تملك اليهود لفلسطين، وأن نزاعاً قوياً وعنيفاً سيحصل في ميادين السياسة والثقافة والاقتصاد<sup>(9)</sup>.

<sup>3</sup> F.O. 371/3398/27647.

<sup>4</sup> جيلبرت كلايتون كبير الضباط السياسيين في قيادة الجنرال اللنبي، ساهم في تحرير سياسة كل من مصر والسودان وجيشه الاحتلال في فلسطين. انظر: دافيد فرومكين، سلام ما بعده سلام: ولادة الشرق الأوسط 1914-1922 (لندن: دار رياض الرئيس، 1992)، ص 352.

<sup>5</sup> F.O. 311/3062/228698.

<sup>6</sup> فرومكين، ص 353، ورونالد ستورز هو أول حاكم عسكري بريطاني للقدس.  
<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص 353.

<sup>8</sup> F.O. 371/3054/235780؛ "تقرير وليم بيل رقم 29، أيار/ مايو 1918"، في: محمود منسي، تصريح بلفور، القسم الثاني (بيروت: دار الفكر العربي، 1970)، ص 287.

<sup>9</sup> "تقرير وليم بيل، رقم 31، من حزيران/ يونيو 1918"، في: منسي، ص 301.

بالتوازي مع محاولات بريطانيا تهدئة العرب وتجنّب نفسها أزمة معهم وسط سير معارك جهة فلسطين وسوريا، ازداد الضغط الصهيوني بالسماح لبعثة منهم بالتوجه إلى فلسطين والبدء بالاستثمار في الزراعة، خصوصاً بعد أن حقق الجيش الإنكليزي تقدماً في فلسطين.

وكتب جريدة المستقبل من جنيف، بعد احتلال الجنرال إدموند هنري اللنبي مدينة القدس في 9 كانون الأول / ديسمبر 1917: "إن فلسطين قطعة من جسم سورية تأبى كل الأديان تركها منهاً للصهيونية"<sup>(10)</sup>.

أما الجنرال اللنبي فاعتراض على حضور أي بعثة صهيونية ما دام الوضع الحرج غير منتهٍ<sup>(11)</sup>. في حين بعثت اللجنة التنفيذية الصهيونية برسالة إلى كلايتون تبلغه أنّ بعثة من مندوبي اللجنة ستتجه إلى فلسطين، عندما يسمح الظرف بذلك، لتوفير مساعدة للمستعمرات اليهودية وسكان المنطقة<sup>(12)</sup>.

لقد كانت فكرة وايزمان تتلخص في إيفاد بعثة استشارية لمساعدة السلطات البريطانية في تعاملها مع المجتمع اليهودي ولتعزيز تصريح بلفور، وفي الوقت نفسه يتم فتح حوار مع العرب<sup>(13)</sup>. لكن كلايتون لم يستجب لهذا الاقتراح؛ لأن الوضع العسكري في رأيه يفرض ذلك. ومن جهة أخرى، أشار كلايتون إلى أن وصول البعثة الصهيونية قد يفتح الباب لغيرها.

يبدو أن الخارجية والمخابرات البريطانية كانتا قلتين من ضغوط وايزمان، فاقترحتا عدم الإفصاح عن الرفض، بل الالتفاف عليه بضرورة إجراء تعديلات على أهداف البعثة. وبالرغم من ذلك، صرّح بلفور بأنّ الحكومة البريطانية استجابت لطلب إيفاد بعثة صهيونية إلى فلسطين<sup>(14)</sup>، وبأنّ الحكومة معنية بالبعثة ونجاحها.

ووجد الإنكليز أحد زعماء الجالية اليهودية في مصر، وهو رجل الأعمال جاك موصيري، بهدف التخفيف من روع العرب وفرعهم<sup>(15)</sup>. فانبثت المجلة الصهيونية التي أسسها في القاهرة للإشادة بالعلاقات بين العرب والحركة الصهيونية، داعيًّا العرب إلى التعبير عن رأيهم بهدف الحوار.

ووقفت بريطانيا في تأسيس لجنة الإعانة السورية، المكونة من عدد من الشخصيات السورية، ومنها حقي العظم ورفيق العظم وفارس نمر وسليمان ناصيف. وأُبرق الأخير إلى سايكس، في 17 كانون الثاني / يناير 1918، بأن كل ما يطلبه اليهود ما هو إلا استيطان حر في بلدنا، ومشاركة السكان في الحقوق والواجبات. وعبر سايكس عن رضاه بهذا التوجه الذي يُقرب بين اليهود والعرب والأرمن في مصر بصفته نموذجاً للشرق العربي.

كللت المحاولات البريطانية في تهدئة خواطر العرب بالنجاح مؤقتاً، مع عدم التراجع عمّا ورد في التصريح، وتهيئة الأجواء لقدم البعثة الصهيونية. وبعد هذا النجاح الذي حققه سايكس فإنه قد صوّر المنظمة الصهيونية قوّة ذات تأثير<sup>(16)</sup> في مجالات عدّة، وأنّها إذا لم تتعاون مع العرب فإن ذلك سيشكل مستقبلاً سيئاً. ولهذارأى سايكس ثلاثة إشكالات:

10 جريدة المستقبل، 30/12/1917.

11 كامل محمود خلة، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939 (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، 1974)، ص. 63.

12 F.O. 371/3054/235200/34175 F.

13 خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصدّه (بيروت: مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص. 340.

14 خلة، ص. 90.

15 "تقرير وليم بيل رقم 5، من تشرين الثاني / نوفمبر 1917"، في: منسي، ص. 341.

16 Leonard Stein, *The Balfour Declaration* (London: Vallentine-Mitchell, 1961), pp. 628-629.

✿ الأماكن المقدسة للمسلمين وال المسيحيين .

✿ مشكلة الصهيونية .

✿ مشكلة السكان المحليين .

وادعى أن أي اتفاق ودي يجب أن يحقق خلولاً لهذه القضايا من هذه الأبواب: حرمة الأماكن المقدسة، وتوفير فرصة للاستيطان اليهودي، ومنع أي محاولات لنزع ملكية أراضي السكان المحليين<sup>(17)</sup>.

وأصرّت بريطانيا على ربط خيوط الأطراف كلّها تمهدًا لما بعد الحرب. وكان يجب التحاور مع الشريف حسين وأولاده للتأثير فيهم بغية الوصول إلى تفاهمات للسير قدمًا في تفزيذ التصريح.

ولتحقيق هذا المسار، أرسل سايكس أحد رجال المكتب العربي، وهو دافيد جورج هوغارث<sup>(18)</sup>، للتفاوض مع الشريف حسين، وفقاً للتوجيهات التالية: لا يخضع شعب آخر، وأنّ الأماكن المقدسة للديانات الثلاث مصونة، وأن توضع أنظمة خاصة لإدارتها، وأنه يجب ألا توضع عقبات أمام تحقيق مشروع عودة اليهود إلى فلسطين، وأنّ صدقة اليهود للقضية العربية (وهي استقلال العرب) مهمة جدًا، وأكثر من ذلك أنّ الصهيونية مهتمة بالتعاون مع العرب. ويدعى جورج أنطونيوس أنّ هوغارث قال للشريف حسين إنّ "الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون مسموحًا به إلا بقدر ما يتفق ذلك مع حرية السكان العرب من الناحتين الاقتصادية والسياسية"<sup>(19)</sup>. وهذا التوضيح الشفوي يعني ابتعادًا عن مضمون تصريح بلفور. وبحسب تحليلات هوغارث فإنه إذا تضمن التصريح هذه العبارة، إضافة إلى محتواه، فلن يكون لدى الشريف معارضه للاستيطان اليهودي في فلسطين<sup>(20)</sup>. وقامت بريطانيا بتفعيل أدوات الضغط والتأثير في الشريف حسين لمنع معارضته للصهيونية، بل شددت على ضرورة قوله بها لمصلحة العرب.

وحاولت اللجنة العربية والسورية (وهي إنتاج بريطاني) خلق جو من واقع لا رجعة فيه، وهو أن اليهود يملكون ثروة مالية وسياسية في أوروبا وأميركا تضمن لهم النجاح، وأنه ليس في وسع العرب التصدي للمشروع الصهيوني، وأن أي تصوير للأجواء لصالح المشروع الصهيوني هو نوع من الترهيب الكلامي والتلويع بخسارة العرب الحتمية أمام هذا المشروع<sup>(21)</sup>. لهذا فمصالح الأطراف الثلاثة واحدة أو متقاربة؛ فبريطانيا همّها توسيع استعمارها ليشمل فلسطين ضمانة لقناة السويس، والصهيونية تسعى لتحقيق هدفها بإنشاء وطن قومي لليهود، والشريف حسين يروم إنشاء دولة عربية إسلامية على أنقاض الدولة العثمانية يكون هو رأسها<sup>(22)</sup>.

ولاستكمال الصورة فعليًا، حندت بريطانيا عمالءها للترويج لسياساتها، وأرسلت مندوبيها إلى فلسطين لالتقاء قادة المجتمع للتوصل إلى تفاهمات. وكان في نية بريطانيا تأسيس مكتب عربي في فلسطين كالقاهرة، على أن يكون خاصًا لها.

بني السياسيون الإنكليز سيناريوهات مستقبلية حول فلسطين، كان أصعبها المصاعب والعقبات التي تواجههم مع سكان فلسطين، خصوصاً إذا انجذبوا إلى مشروع سوريا المستقلة<sup>(23)</sup>. لهذا، فإن كل محاولة التفاف حول الموقف العربي لسكان فلسطين والقيادة العربية

17 F.O. 371/3054/235780.

18 دافيد جورج هوغارث: عالم آثار، ومتخصص في التاريخ العربي.

19 أنطونيوس، ص 376.

20 المرجع نفسه، ص 376.

21 فرومكين، ص 358.

22 تقرير وليم بيل رقم 33، بتاريخ 1 تموز / يوليو 1918، في: منسي، ص 301.

23 عبد الفتاح العوسي، *جذور القضية الفلسطينية (1922-1999)*، (الخليل: دار الحسن، 1992)، ص 225.

سيكون مباركاً. ومن المقترنات التي اعتقد هؤلاء أنها ستجذب العرب هو منحهم فرصة إقامة شرطة محلية بدلاً من الأوروبية، وأن يوظف سكان محليون بدلاً من الأوروبيين، من دون التناقض على الصهيونية، أو تعديل في تصريح بلفور والتزامات بريطانيا.

وأبلغ كاليتون، في 4 كانون الثاني / يناير 1918، سايكس من القدس أن هناك تقاربًا بين العرب واليهود من دون تحقيق تعاون فعلي بين الطرفين؛ لأنّ العرب يخشون سيطرة اليهود على القدس. فما الأداة الأخرى لجذب العرب؟

لقد تم استخدام جريدة **الكوكب** المصرية الموالية لبريطانيا. فما هي الطريقة التي يمكن بواسطتها تصوير وضع أفضل مما كان سائداً خلال الفترة العثمانية؟

إن الاستنتاجات إلى هنا تستهدف: طمأنة الفلسطينيين وإزالة مخاوفهم من فكرة إقامة دولة يهودية كما رشح عن التصريح، وذلك بضمان حقوقهم الدينية والمدنية. وروجت هذه الجريدة أن الزعماء العرب، ومن بينهم فلسطينيون، على استعداد للتفاهم مع اليهود من دون التنازل عن قوميتهم<sup>(24)</sup>.

مقابل هذه الجهود البريطانية للتخفيف من حدة القلق الفلسطيني والعربي، وكذلك تجاوب بعض الجهات اليهودية الصهيونية مع هذه الجهود، كانت هناك جهات صهيونية متطرفة قد دعت إلى ترحيل العرب جماعياً من فلسطين من منطلق أنها لا تتسع لكل اليهود؛ هذا ما كتبه يسرائيل زنغوييل؛ أي إنه ينتقد ما ورد في التصريح بصفة غير مباشرة. وبذا كشف زنغوييل ما تخفيفه الحركة الصهيونية من سيناريوهات ترحيل مستقبلية للشعب الفلسطيني<sup>(25)</sup>. أما سايكس فعبر عن رفضه لهذا التوجه، وفي اعتقاده أن خطوات كهذه ستُسبب عداء قوياً للسياسة الإنكليزية، وتحتماً ستؤدي إلى انقسام بين العرب واليهود في فلسطين، وربما إلى مواجهات دامية<sup>(26)</sup>.

## ثانيًا: النشاط الصهيوني ورد الفعل العربي

التقت البعثة الصهيونية Zionist Commission سايكس، في 8 آذار / مارس 1918، والتقي وايزمان، أيضًا، الملك جورج الخامس والجنرال جان سمطس، وتم الإجماع على خصورة اتخاذ وايزمان وأعضاء البعثة موقفاً ودياً من العرب لأنّهم ينظرون إلى الصهيونية بـ“عداء شديد”<sup>(27)</sup>.

وصلت البعثة الصهيونية إلى الإسكندرية، في 20 آذار / مارس 1918، واستقبلتها بحفاوة السلطة البريطانية والجالية اليهودية، ثم بلغت القاهرة. ورحت جريدة **المقطم**<sup>(28)</sup> بمقدم البعثة برئاسة وايزمان<sup>(29)</sup>. وحدّدت الحكومة البريطانية أهداف البعثة بـ“تنفيذ أية خطوات مطلوبة لجعل التصريح لمصلحة إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين نافذ المفعول مع عدم الإخلال بسلطة الجنرال

24 جريدة **الكوكب**، 1918/3/5.

25 رسالة يسرائيل زنغوييل إلى حاييم وايزمان، الأرشيف الصهيوني (القدس)، 1918-AK10/19.

26 قاسمية، ص 346.

27 خلة، ص 91.

28 جريدة **المقطم**، 1918/3/22.

29 تشكلت البعثة من جوزيف كوبين وهو عضو في مجلس إدارة الشركة اليهودية الاستعمارية وأحد المقربين من تيودور هرتسل، وليون سيمون وهو موظف في الحكومة البريطانية ومتخصص في التعليم العربي، وإسرائيل سيف وهو وكيل رئاسة الاتحاد الصهيوني في إنكلترا، وسيلفان ليفي وهو أستاذ جامعي في الألسنية، ودافيد إيدر وهو مندوب جمعية الأرضيات اليهودية. ورافق البعثة الماجور أورومسي غور ممثلاً للحكومة البريطانية والمعاطف مع الصهيونية، ومساعدته الكاتب جيمس ابن البارون إدموند دي روتشيلد؛ أي مختصون في مجالات مهنية تساهم في إنشاء الوطن القومي اليهودي، انظر: “تقدير ييل رقم 20 من آذار / مارس 1918”， في: منسي، ص 266؛ خلة، ص 91.

النبي<sup>(30)</sup>، إضافة إلى أن تكون أدلة وصل بين الطائفة اليهودية والسلطات البريطانية في فلسطين، وأن تعمل على تأسيس اتصالات سياسية مهمة مع العرب، وأن تُجري دراسات لتطوير الاستيطان<sup>(31)</sup>.

واهتمت السلطات البريطانية بتحضير الأجزاء لوصول البعثة، وترويج أهدافها في الجرائد الموالية لها مثل الكوكب، وجريدة فلسطين التابعة للجيش البريطاني.

لقد عرف الفلسطينيون والعرب بالتصريح فور صدوره، فما كان رد فعلهم؟

قابل العرب والفلسطينيون وصول البعثة بمعارضة كبيرة، لكن السلطات البريطانية اهتمت بتلبيهن موقفهم، وهذا ما سببته. لتحقيق أجواء من القبول بالحد الأدنى، برب دور الضباط العسكريين الإنكليز الذين قاموا بتهديته مخاوف الفلسطينيين<sup>(32)</sup>؛ إذ إنَّ المستوى العسكري البريطاني تفاجأً بهذه البعثة، وأسرع العسكريون إلى وضع خطة للتعامل مع هذا التطور المفاجئ بالنسبة إليهم<sup>(33)</sup>.

وتزداد وايزمان بتفاصيل كثيرة عن الجو العام السائد في فلسطين، وبادر إلى لقاء الزعماء الفلسطينيين ليقدم لهم شرحاً عن الصهيونية ومراميها. ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنه تولى توجيه البعثة بنفسه، ولم يستند إلى ردود فعل. وأكَّد وايزمان لهؤلاء أنَّ هدف حركته هو تأسيس وطن لليهود، وأنَّهم مستعدون للمشاركة في الحقوق ورفع مستوى المستوطنات اليهودية، وأنَّ هناك متسعًا من الأرض للجميع، وأنَّ في قدرة اليهود فتح المدارس للمسلمين والمسيحيين أيضًا، ونَذَّ بالطغopian التركي؛ بمعنى آخر، كان واضحًا في طرح أهدافه، وما سيقدمه للعرب في المقابل؛ من خلال الاستفادة من سياسات الأتراك القومية، على حد تعبيره.

وذهب التقارير البريطانية الميدانية والاستخبارية إلى أنه حصل اعتدال في مواقف العرب، وأنَّ الأمل كبير في اختفاء تدريجي للقلق، وأنَّ الفلسطينيين أكثر مرونة من السوريين في تقديرهم وتعاملهم مع الصهيونيين<sup>(34)</sup>.

وتشكلت هيئة عربية من سبعة مقيمين في القاهرة، أرسلوا بياناً طالبو فيه بريطانيا بأن توضح سياستها المزعزع تنفيذها في البلاد العربية<sup>(35)</sup>. وجاء رد وزارة الخارجية البريطانية، وقد يعتبر أنطونيوس في غاية الأهمية، علماً أنَّ كامل خلته يُقلل من أهميته؛ باعتباره أعطي شفويًا<sup>(36)</sup>. ومع كل هذا فإنَّ "التصريح للسبعين" (هكذا سُميَّ) يؤكد سعي بريطانيا للوصول إلى استقلال البلاد العربية، وأنَّها لن تُقْيم أي نظام حكم لا يقبل به السكان. وأما العرب، فأعتبروا هذين التأكيدتين مشتبئين من حق تقرير المصير للرئيس الأميركي وودرو ويلسون<sup>(37)</sup>.

وكان سليمان ناصيف أحد أعضاء اللجنة السورية، وهو مُقرَّب من الإنكليز، قد قدَّم اقتراحات للعضو البريطاني في البعثة الصهيونية<sup>(38)</sup>؛ من بينها الإبقاء على الأماكن المقدسة كما في الماضي بأيدي مالكيها مع حقوق وامتيازات، وعدالة الحكومة، والمساواة

30 سحر الهندي، *تأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي: فترة هربرت صموئيل 1920-1925* (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ص 45.

31 عبد المهدي، *القدس والحكم العسكري 1920-1917* (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2003)، ص 155.

32 إلى حين وصول البعثة، لم يستكمل الجيش البريطاني احتلال فلسطين؛ لهذا فإنَّ أي تحرك سيؤثر في مواقف السكان، انظر: تقرير كورنواليس مدير المكتب العربي في القاهرة بتاريخ 1918/4/20: F.O. 882/27.

33 الهندي، ص 45؛ وانظر أيضًا:

Bernard Wasserstein, *The British in Palestine, the Mandatory Government and the Arab Jewish Conflict, 1917-1929* (Oxford: Blackwell publishers, 1991), p. 25.

34 Stein, p. 624.

35 أنطونيوس، ص 378.

36 خلة، ص 100، الملاحظة 40 (الهامش).

37 أنطونيوس، ص 381.

38 من أوراق المكتب العربي في القاهرة، في: F.O. 882/14.

بين مكونات المجتمع، وتطبيق متساوٍ للقوانين، وإخضاع المستوطنين لقوانين فلسطين، وتشكيل لجنة مشتركة من عناصر البلاد الثلاثة للنظر في شكاوى التعدي وتسويتها بالتعاون مع الحكومة، والعربية لغة البلاد، وإنشاء بنك زراعي تحت إشراف الحكومة.

ساهمت هذه المذكورة في تصوير حالة مريحة في أوساط الفلسطينيين، وببداية قبول حضور البعثة الصهيونية. وفي اعتقادنا أنّ هذا التصوير للحالة التي سادت بين الفلسطينيين ما هي إلا مشاعر أكثر منها مواقف.

لكن في الواقع ماذا كان يجري ميدانياً؟

بيّن هوغار特 في تقاريره صورة مغايرة، صورة قلق كبير قبل وصول البعثة الصهيونية، وأفادت التقارير البريطانية وجود معارضة للبعثة الصهيونية. في حين يميل قسم من السكان إلى سيادة تركية، وثالث إلى سيادة هاشمية. وأشارت هذه الحالة إلى شكوك الفلسطينيين في سياسات بريطانيا.

وَبَيَّنَتْ هذا التوجه تقرير أرسله ستورز إلى بلفور، في 22 نيسان / أبريل 1918، شارحاً القلق من البعثة الصهيونية، مع الإشارة إلى على الصهيونيين، إذ عبر عن تأييده للتصرير<sup>(39)</sup>. وأشار التقرير إلى رد الفعل الفلسطيني من خلال تأسيس الجمعيات الإسلامية والمسيحية<sup>(40)</sup> للتصدي للمشروع الصهيوني.

وأما هوغار特، فإنه وضع رسالة أوصى فيها بضرورة نشر مقالات تُخفّف من الغضب قبل وصول البعثة الصهيونية، مع الإشارة إلى أنّ البعثة ستستثمر الأراضي المهملة لصالح اليهود، وأنّها لن تُجرّد المالكين الفلسطينيين من أراضيهم، ولن يكون إشراف لليهود على فلسطين؛ بمعنى آخر، يتعلق الأمر برسائل تهدئة وطمأنة<sup>(41)</sup>.

وقدّم أورمسي غور خابط الارتباط البريطاني المرافق للبعثة تقريراً إلى وزارة الخارجية، بتاريخ 19 نيسان / أبريل 1918، أي بعد أسبوعين من وصول البعثة إلى فلسطين، شرح فيه عدم وضوح التصرير بالنسبة إلى العرب، وبعض اليهود<sup>(42)</sup>. فالأهداف غير واضحة بالنسبة إلى العرب، أما بالنسبة إلى بعض اليهود فإن السياسة الصهيونية غير واضحة علىخلفية التصرير. وأوضح غور أنّ هناك مخاوف عديدة لدى الطرفين: مخاوف العرب من تسلط اليهود على فلسطين وتجریدهم من ممتلكاتهم، ومخاوف اليهود من محاولات تسلّط العرب.

واقتراح غور بناء علاقات مُنصفة بين الطرفين. فتم تنظيم لقاء، في 27 نيسان / أبريل 1918، بين وايزمان وموسى كاظم الحسيني (رئيس بلدية القدس)، وإسماعيل الحسيني (مدير المعارف)، وكامل الحسيني<sup>(43)</sup>. نادى وايزمان في كلمته بضرورة التعاون بين العرب واليهود، وبعد التفكير في تجريد العرب من أملاكهم؛ فهناك مكان لليهودي والعربي في فلسطين. بمعنى آخر، صور غور الحالة على أنها سلبية، لكن يمكن - بمساعٍ معينة أو خطوات من بريطانيا والمنظمة الصهيونية - تذليل العقبات وتحفييف حدة القلق.

<sup>39</sup> F.O. 371/3398.

<sup>40</sup> يسود الاعتقاد أن الجمعيات الإسلامية - المسيحية قد انطلقت أولاهما في تشرين الثاني / نوفمبر 1918، انظر: Wasserstein, p. 29; Yehoshua Porath: *The Emergence of the Palestinian – Arab National Movement, 1918–1929* (London: Cass, 1974), p. 32. في حين يرجح مؤرخون فلسطينيون تأسيسها في وقت سابق، مثل شهر نيسان / أبريل، انظر: أحمد الحروب، "دور الجمعيات الإسلامية - المسيحية في الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة ما بين 1918-1931"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2001، ص. 9.

<sup>41</sup> F.O. 882/14.

<sup>42</sup> "تقرير وليم بيل رقم 23، من نيسان / أبريل 1918"، في: منسي، ص. 281.  
<sup>43</sup> تم اللقاء في دار الحكومة بالقدس، وحضرته شخصيات دينية واجتماعية متقدمة، انظر: خلة، ص. 94.

أما ستورز فأرسل تقريراً عكس فيه قلقاً عربياً - فلسطينياً من غيات وايزمان، وأن هناك شعوراً بانحياز بريطاني إلى اليهود، وأنه شاع خبر متعلق بوجود أحد أفراد عائلة روتшиلد في البعثة يعني وجود خطة للسيطرة على ثروات فلسطين<sup>(44)</sup>.

رد وايزمان على غور بأن القلق لا يتناسب مع التوقعات مما طرحته التصريح. هو يعترض بأنه قد توقع معارضة عربية محدودة، لكن ليس بهذه الصورة، وهذا ما يؤكد رد فعل العرب الرافض للبعثة ولأهدافها، وللتصرير من أساسه. ووجه وايزمان بهذا الأسلوب لوماً إلى السلطات البريطانية بعدم تحضيرها الأجواء لوصول البعثة<sup>(45)</sup>.

تدل استنتاجات وايزمان التي عبر عنها في تقريره على أن عدد اليهود قليل في فلسطين إزاء تطلعات التصريح، وأن على الحكومة البريطانية تعريف عرب فلسطين بما ورد في التصريح وبخطتها المستقبلية، وشدد على أن تكون هذه الخطوة رسمية، وليس عبر قنوات شخصية.

يلحظ المتمعق في هذا التقرير أنه أول صدام فعلي بين وايزمان والسلطة الحاكمة في فلسطين، ممثلة بستورز. رد ستورز على ادعاءات وايزمان بأن البعثة ليست ملهمة بالسياسة العملية في ظل الحرب، وأن البعثة لم تدرك أن فلسطين مسلمة بغالبيتها العظمى، وأن فلسطين واقعة تحت الاحتلال المسيحي (بريطانيا)، وتريد تسليمها لشعب ثالث مرفوض كلياً في فلسطين. مع هذه الصفعية القوية، اقترح ستورز لقاءً بين البعثة ووجهاء من القدس، ليشرح وايزمان أهداف البعثة<sup>(46)</sup>.

وألقى وايزمان كلمة أمام الوفد الفلسطيني وأرسلها ستورز إلى الخارجية<sup>(47)</sup>. ولم يعتبر ستورز أنها أنت بجدي، بل قد شرحاً عن علاقة أجداد وايزمان بفلسطين منذ قرون مضت، مسداً على عبارة: لا يصح القول إننا قادمون إلى فلسطين بل نحن راجعون إليها<sup>(48)</sup>. وأشار وايزمان بنضال العرب في سبيل استقلالهم، وقال إن هذا النضال يجب أن يتمحور في مثلث مكة ودمشق وبغداد، وإن فلسطين تربط بين الشرق والغرب، وإن من يمكنهم القيام بهذا الرابط هم اليهود، وإنهم سيقيمون جامعة يهودية لنقل المعرفة اليهودية والعلمية بالزراعة، ودعا العرب إلى التعاون مع البعثة لتحقيق هذه الغايات<sup>(49)</sup>.

أما التقرير الذي أرسله غور إلى كلايتون في أعقاب لقاء وايزمان فهو مطمئنٌ، مع التشديد على حضور القلق لدى العرب مما تخبئه الصهيونية مستقبلاً<sup>(50)</sup>. والمفارقة التي لمسها ستورز أن الحضور من السوريين تأثروا بكلمة وايزمان، في حين اشتكي وايزمان مراراً من سياسة الإنكлиз التي يراها تتلألأ في تطبيق التصريح. ويدرك وايزمان إلى إرسال رسالة إلى صديقه برانديس قاضي المحكمة العليا في أمريكا حول ذلك، مشيراً إلى أن الحكومة البريطانية غير وفية بعهودها<sup>(51)</sup>.

وكان مفاد تعليق كلايتون على رسالة وايزمان أن وجود البعثة الصهيونية هو دليل كافٍ على دعم حكومته للتصرير، لكن ظروف فلسطين الأمنية تحدّ من تحركات الحكومة البريطانية وخطواتها. وملس وايزمان ضرورة عقد لقاء آخر، وتم في يافا في 8 أيار / مايو 1918،

44 Arab Bulletin (30/4/1918).

45 F.O. 371/3398/92392.

46 عبلة المهتدى، ص 249.

47 "تقرير ستورز إلى كلايتون": F.O. 371/3395/98470/11053.

48 من رسالته إلى العرب، انظر كتابه:

Ronald Storrs, *Orientations* (London: Nicholson & Watson, 1937), p. 365.

49 المرجع نفسه، ص 100.

50 "تقرير غور إلى كلايتون": F.O. 371/3395/100176/11053.

51 "ستورز إلى وزارة الخارجية": F.O. 371/3395/98470/11053.

حيث كرر الادعاءات نفسها المتمثلة بأنّ الصهيونية لم تأتِ لتفرد بالحكم والسيطرة على فلسطين، بل لتعاون مع السكان<sup>(52)</sup>. وجاء رد من القاضي راغب أبو السعود المقدسي بأنّ الإسلام والنصارى سيعاملون الإسرائييليين بالحسنى<sup>(53)</sup>.

إلى هنا، نلحظ أنّ مساعي بريطانيا والبعثة الصهيونية لم تكلل بالنجاح التام<sup>(54)</sup>. فما الخطوات الأخرى الواجب اتخاذها لدفع الأمر إلى "مربع" أفضل؟

أرسل وايزمان رسالة إلى بلفور، في 30 أيار / مايو 1918، شارحاً فيها موقفه من العرب ومعارضتهم وعدم الانسجام بين العرب واليهود، بعكس الصورة التي حاول ستورز تقديمها. وأوضح موقفه العدائي للعرب ووصفهم بأنّهم غدارون، وقال إنّ هذا جزء من طبعهم. ووجه اللوم إلى سياسيين إنكليز بأنّهم صوروا التصريح بكلّه أدلة لسلب أراضي العرب وتسليمها إلى اليهود.

إذاً، هذه المواقف والأراء الفوقيّة والعنصرية والاستعلائية تجاه العرب تتوافق مع التوجهات الفكرية الاستعمارية. وقد كشف وايزمان هجماته ضد الموظفين العرب الذين عينتهم الإدارة البريطانية لتسيير الأمور المحلية، ووصفهم بأنّهم أصحاب عقليّة مُتّخلفة، وفاسدون وغير أكفاء، وأنّهم يميلون إلى تلقّي "البريطيل"، وقال إنّ العربي محatal، في حين أنّ نوعية اليهودي أفضل، وأنّه متّفق على العربي، وأنّ الإدارة البريطانية قد حطّلت من مكانة اليهودي لصالح العربي. وهكذا أصبح وايزمان في جهة معادية لمحاولات بريطانيا تنظيم العلاقات بين العرب واليهود في هذه المرحلة. ويمكننا تفسير هذه المحاولة بأنّها خطوة نحو ابتزاز سياسي يمارسه وايزمان تجاه الإنكليز، مقابل عدم التشهير بهم، أو كسب وده لئلا يقعوا فريسة للسانه<sup>(55)</sup>. ويرى وايزمان أنّ مشكلة العلاقات بالعرب اقتصادية ولن يست سياسية، ويرى ضرورة توجيه العرب إلى مثلث مكة، ودمشق، وبغداد؛ طبعاً لأجل حرف نظرهم عن فلسطين وإبعادهم عنها.

فما مقاصد وايزمان من رسالته المطولة؟

إنّ الهدف الأساسي يتمحور حول دفع السياسة البريطانية إلى تغيير موقفها الجوهرى ونهجها الفعلى. وأنّ احتلال القدس ليس بهدف الاحتلال ذاته بقدر ما هو إحداث تغيير فيها؛ أي إحداث تغيير لخلق واقع يؤسس للوطن القومي اليهودي. ولكونه زعيماً للصهيونية العملية فقد اقترح:

- ✿ تأسيس الجامعة العربية وتخصيص أرض لها.
- ✿ تسليم حائط المبكى لليهود، وهو أقدس الآثار اليهودية بحسب مزاعمه.

✿ نقل الأرضي الجنوبي في فلسطين إلى أيدي صهيونية لكونها غير مأهولة، وتعويض من يسكن فيها.  
نلمس من هذا أنه يدفع بالمشروع الصهيوني إلى نقطة متقدمة عما كان يفكّر فيه العسكريون والسياسيون الإنكليز في هذه المرحلة. وقد كان تفكيره وتحقيقه وطرحه لهذه الاقتراحات ضمن الهدف الجوهرى؛ وهو تأسيس حالة الوطن القومي اليهودي، كي لا تكون رجعة عنه.

إذاء هذه الاقتراحات أرسل كلايتون تقريراً إلى بلفور، في 16 حزيران / يونيو 1918، قبل أن يرد بلفور على وايزمان، وأهم نقاطه:

<sup>52</sup> الهنيدى، ص 47، 46؛ Walid Khalidi (ed.), *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1971), p. 189.

<sup>53</sup> F.O. 371/3383: خلة، ص 97؛ الهنيدى، ص 47.

<sup>54</sup> خلة، ص 98.

<sup>55</sup> "تقرير وليم بيل رقم 29، من أيار / مايو 1918"، في: منسي، ص 284.

﴿ تأجيل أي نشاط حتى تقام إدارة مدنية بدلاً من الإدارة العسكرية الحالية. ﴾

﴿ السعي لترويض مواقف العرب وأرائهم من التصريح على نحو تدريجي. ﴾

ولتخفيض حدة معارضة وايزمان ونقده اللاذع، وافق كلايتون على فكرة إقامة جامعة عبرية وتحويل أراضٍ مهملة أو مزروعة جزئياً. وهذه خطوة سهلة وليس صعبة<sup>(56)</sup>. في حين أنه رأى في اقتراح نقل ملكية حائط المبكى أمراً في غاية الصعوبة، وهناك معارضة إسلامية ليست فقط من المفتى، بل من الرأي العام.

أرسل بلفور رده إلى وايزمان بعد اطلاعه على رسالته وعلى تقرير كلايتون، وذلك في 26 تموز / يوليو 1918، مستجيناً لفكرة إقامة جامعة وموصياً بألا تتخذ أي خطوة تتعلق بحائط المبكى، بل أن تكون مسألته تدريجية. أما مسألة الأراضي، فيرى ضرورة تأجيلها إلى وقت لاحق لحساسيتها الكبيرة.

### ثالثاً: محاولات الحركة الصهيونية التقرب من زعامة العرب

هل فشلت البعثة الصهيونية في تحقيق اختطاف سريع للرأي العام العربي والفلسطيني وفرض أمر واقع ميدانياً؟

إن وصول البعثة، وال الحرب في سنتهما الأخيرة، هو بيان لإصرار الصهيونية على تفزيذ التصريح.

مقابل هذا التوجه، واجهت البعثة معارضة عربية وفلسطينية معاً. كما أنها واجهت معارضة من الإنكليز ميدانياً؛ فهم على المستويين السياسي والعسكري ليسوا ضد البعثة؛ إذ إنّ مندوبيهن عنهم أعضاء فيها، ولكنهم أرادوا إنجاز المهام بالتدريج، وعدم خلط الأمور.

لهذا كانت محاولات الحكومة البريطانية منع وقوع صدام بين البعثة والعرب تهدف إلى نجاحها. ولهذا، فإن أسلوب تعاملها مع هذه المسألة كان لكسب تعاطف فيصل ووالده الشريف حسين؛ أي توجيه المسار السياسي للقاء بين الحركة الصهيونية ممثلة ببعثتها والحركة القومية العربية ممثلة بالهاشميين ومؤيديهم في الشرق<sup>(57)</sup>.

كان الداعون إلى هذا اللقاء على المستوى العسكري ممثلين بكلايتون ولورانس وغور. وكانت محاولات هؤلاء ووايزمان أيضاً توجيه الرأي العام العربي والفلسطيني إلى مثالث الشاطئ القومي العربي في مكة ودمشق وبغداد، كما أشرنا؛ أي خلق حيز جغرافي ليفانتيني (مشرقي) بعيد عن فلسطين، يجري فيه خلق روح قومية عربية<sup>(58)</sup>.

لكن أين تكمن المشكلة مع الفلسطينيين؟ وكيف؟ يتم عزل الفلسطينيين عن الحركة العربية ومعالجة قضيتهم سياسياً واقتصادياً حتى لا يهتم بهم الزعماء العرب؟

كان الإنكليز غير متأكدين من موقف الشريف حسين من فلسطين، مع العلم أنه كان مستعداً للاعتراف بحقوق اليهود بصفتهم مواطنين في بلاد العرب؛ كونهم جزءاً من النسيج السكاني، والترويج له في صحفة الموالة (مثل جريدة القibleة وهي لسان حال الشريف

<sup>56</sup> قاسمية، ص 365.

<sup>57</sup> عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1985)، ص 35.

<sup>58</sup> F.O. 371/3395/137853.

حسين)<sup>(59)</sup>. أما عن كيفية تفويذ هذه الرؤية، فقد كان الاقتراح يقوم على تدبير لقاء يجمع بين وايزمان وفیصل في العقبة بحضور غور، وإذا تم الاتفاق بينهما فإنّ فیصل سينقل موقفه إلى الشريف حسين<sup>(60)</sup>.

ويبادر كلايتون إلى التمهيد للقاء بر رسالة إلى فیصل يمتدح فيها صفات وايزمان، مبيّناً أنه متعاون ومتفاهم ورجل سياسي واسع الآفاق. وأكد وايزمان أنّ مستقبل فلسطين يؤخذ من الحجاز. ولقاوه مع فیصل كان مسألة مدرسته بدقة متناهية مع الإنكليز.

ماذا اقترح وايزمان على فیصل؟

كانت فكرة وايزمان لاستمالة فیصل تكمن في مساعدته ووالده على إقامة مملكة عربية بمساعدة مالية وتنظيمية يهودية، وسيكون اليهود جirana مساعدين، يوفرون له الحماية من الشمال (أي من شمال الحجاز).

جرى اللقاء بين الاثنين، في 4 حزيران / يونيو 1918، في معسكر قرب مدينة العقبة، وحضره العسكري البريطاني جويس (الذي قام بالترجمة) في حين لم يحضره غور بسبب وعكة صحية<sup>(61)</sup>. وكتب جويس تقريراً جاء فيه أنّ الطرفين اتفقا على التعاون بينهما، وأنّ وايزمان سيعمل حال قيام الوطن القومي على مساعدة المملكة العربية وتطويرها<sup>(62)</sup>.

في المقابل، عبّر فیصل عن عدم قدرته على بحث مستقبل فلسطين كدولة يهودية أو تحت إشراف بريطانيا؛ خوفاً من الدعاية الألمانية والتركية ضد موقف العرب. واقتراح فیصل تأجيل المسألة إلى وقت لاحق. وفي هذا الموقف اعتراف ضمني بحقوق اليهود في فلسطين<sup>(63)</sup>. ولجذب فیصل، أظهر وايزمان قدرته على كسب ود أميركا لصالح الحركة القومية العربية.

ما مكاسب وايزمان من لقائه هذا؟

إن اللقاء غير الرسمي بين زعيم الحركة الصهيونية وزعيم الحركة القومية العربية - إن جاز لنا تسميته هكذا - مكسب لوايزمان. أما الأمر الثاني فهو ترحيب فیصل باليهود؛ ما يُمهد لتحالف بين الشعبين<sup>(64)</sup>، حتى إن وايزمان كتب لزوجته مادحاً فیصل ومشدداً على أنه - أي فیصل - مهم بسوريا وليس بفلسطين أو شعبها<sup>(65)</sup>.

ما موقف الإنكليز؟

أظهر كلايتون تفاولاً بأنّ فیصل قد قبل بدولة يهودية؛ ما سيجعل بريطانيا تدعم مشروعه في سوريا كما ستدعمه الحركة الصهيونية اقتصادياً<sup>(66)</sup>. رأى كلايتون في لقاء زعيمي الحركتين حلاً لمشكلة الحكومة البريطانية في تفويذ وعودها بالنسبة إلى كلا الطرفين، وأنّ التنسيق بين أهداف الصهيونية وأهداف الحركة القومية أمرٌ في غاية الصعوبة، لكنه ليس مستحيلاً.

أما الخطوة التالية، فكانت تنظيم لقاء بين وايزمان والشريف حسين. أما الطريق إلى ذلك، فهو من خلال أهمية دور اليهود في دعم دولته ضد تركيا. واقتراح وايزمان على ريجنالد وينغيت Reginald Wingate أن يُخبر الشريف حسين بأنه إذا جرى اعتراف متبادل، فإنّ الصهيونية ستمده بالمساعدة المالية لإقامة مملكته في الحجاز، مع دعم أماني العرب في أوروبا وأميركا.

59 جريدة القibleة، العدد 183، 24/5/1918.

60 العوسيي، ص 226.

61 خلة، ص 99.

62 العوسيي، ص 227.

63 الكيلي، ص 115.

64 Stein, p. 637.

65 فرومكين، ص 361.

66 F.O. 371/3395/105824/27647.

رأى وينغيت أن هناك صداماً بين الصهيونيين والسيوفيين في مسألة سلاح فلسطين عن سوريا، ولكنه يؤكد توافر الدعم المالي من جانب الصهيونية. في حين رأى سايكس أن أهداف وايزمان قد ذهبت إلى أبعد مما تم التخطيط له؛ إذ إنها تؤثر في شبكة العلاقات بين بريطانيا وفرنسا. فوايزمان ينظر بمنظار صهيوني وليس بمنظار المصالح البريطانية، أما سايكس فينظر إلى مصلحة بريطانيا<sup>(67)</sup>.

وحدّد سايكس العلاقة البريطانية بالنسبة إلى الصهيونية بأن تحصل الصهيونية على فرصة جيدة في فلسطين وليس لأي مطعم آخر. وتحديده هذا يأخذ في الاعتبار حساسية العلاقة بفرنسا في سوريا. فالصالح الفرنسي في سوريا وفقاً لاتفاقية سايكس - بيكو؛ لهذا رأى سايكس أن الشاطئ الصهيوني يجب أن يبقى محفوظاً في فلسطين وألا يتخطاها. علماً أن السياسة البريطانية كانت تعمل على الانفراج بالسيطرة على فلسطين دون فرنسا. إلا أن بيكون احتاج على ذلك بالانسحاب منقيادة العسكرية مع الجنرال اللنبي عائداً إلى بلاده في حزيران / يونيو 1918<sup>(68)</sup>.

ولكن رأى سايكس أن تطور حركة فيصل سيحسن علاقته بالصهيونية. وعندما ستقف الصهيونية إلى جانب فيصل في تأسيس دولته ودعمها. وقد شكلت إثارة اتفاقية سايكس بيكون قلقاً لوايزمان؛ لأنها تحول دون تحركه بحرية في المنطقة لضمان أوسع بشأن تطبيق التصريح.

## رابعاً: اتساع دائرة المعارضة العربية وتجاوزها فلسطين

تضارب الآراء والماوقف، العربية عامة والفلسطينية خاصة، من مسألة العلاقات بين الصهيونية والعرب؛ فمن العرب الفلسطينيين من أراد توثيق هذه العلاقة؛ كأولئك الذين اشتراكوا في وضع حجر الأساس للجامعة العربية، في 24 تموز / يوليو 1918، والصحف الموالية مثل الكوكب وفلسطين (وهي الجريدة التي يصدرها الجيش البريطاني في بلاد العدو المحتلة)<sup>(69)</sup>، اللتين روجتا للاحتلال البريطاني ودوره في رفع المكانة الاقتصادية والاجتماعية للعرب؛ بمعنى آخر، دور الدعاية في الترويج لـ:

- ✿ الاحتلال البريطاني بكله مُنقداً.
- ✿ العلاقات الصهيونية وفوائدها.

لكن الدعاية لم تنتصر، بل المقاومة والتصدي العربي خارج فلسطين، وفي مقدمتها الصحافة السورية في أميركا؛ كجريدة الهدى، والشعب، ومرأة الغرب، التي أظهرت معاداة للحركة الصهيونية. وشددت جهات صهيونية وإنكليزية موالية لها على ضرورة مراقبة ما تنشره الصحافة. وكانت تتدخل في كل ما ينشر، بل بلغ الأمر بمنع توزيع أحد أعداد جريدة الكوكب نشر فيه مقال غير مرغوب فيه<sup>(70)</sup>. وعبرت جريدة المستقبل الصادرة في باريس عن معارضتها للمشروع الصهيوني، وهي مدعومة من الخارجية الفرنسية، وقامت بالرد على طروحات وايزمان لمستقبل فلسطين والمنطقة<sup>(71)</sup>.

وأظهرت الردود صحوة الفلسطينيين لما يبيّنه المشروع الصهيوني، وفندت مزاعم وايزمان بخصوص التعاون مع العرب لصالحهم أولاً. وتعتبر هذه الصحافة مزاعم وايزمان افتقاء، وتنادي بتنظيم مقاومة ضد محاولات الصهيونية غير البريئة إطلاقاً. وتلقت هذه

67 F.O. 371/3381/123863/146 F.

68 خلة، ص 102.

69 المرجع نفسه، ص 77، وهي غير جريدة فلسطين التي كانت تصدر في مدينة يافا.

70 جريدة الكوكب، العدد 100، 1918/6/25.

71 جريدة المستقبل، العدد 112، 1918/8/30.

المقالات نظر العرب والفلسطينيين إلى عدم الاغترار بالمال اليهودي، وتوجه دعوات إلى أهمية - بل ضرورة - دعم الجمعيات الإسلامية والمسيحية في فلسطين للصمود في وجه مشاريع الصهيونية.

رأى الحكومة البريطانية أنّ مقال المستقبل خطر سيعرق سير العمليات الحربية في القسم الشمالي من فلسطين وبلاط الشام، وخصوصاً خلال المعارك الأخيرة ضد الأتراك والألمان، واعتبرته مقاولاً تحربياً بامتياز. وجندت بريطانيا شخصيات سورية للرد على المقال باعتبار المقترفات الصهيونية مفيدة وإيجابية بالنسبة إلى العرب. وكان أبرز هذه الشخصيات حقى العظم، لكن دعوته لم تجد انتشاراً وإنما في أوساط العرب، بل تابعت الصحافة العربية هجومها على المشروع الصهيوني ومن يتفق معه. وعممت الخارجية البريطانية أسماء الجرائد المنوع وصولها إلى مناطق احتلالها، وخصوصاً منها العربية الصادرة في أميركا اللاتينية. أما في حدود فلسطين، فإن الأمور أخذت مساراً أشدّ تعقيداً؛ حيث ازدادت فجوة عدم الثقة بين الطرفين العربي والصهيوني.

واشتد النقاش الداخلي بين السياسيين الإنكليز فيما إذا كانت الصهيونية ستلجم إلى طريق سياسي لتحقيق أهدافها أم ستلجم إلى الضغط، وهذا ما أكدّه سوكولوف ووايزمان. فالنقاش الداخلي بين هوغارث وأورمسبي غور كان في هذا الاتجاه؛ إذ اعتقد غور أنّ المسار السلمي هو الذي سيوجه الصهيونية، في حين اعتقد هوغارث أنّ الصهيونية ستلجم إلى الضغط على الفلسطينيين<sup>(72)</sup>.

وقد جاءت مواقف الفلسطينيين من الحكومة البريطانية والمشروع الصهيوني واضحة في ما شرحه محمد القلقيلي، محّرر جريدة الكوكب الموالية لبريطانيا، في تقرير أرسله إلى الجنرال اللبناني قائد القوات العسكرية في فلسطين، بتاريخ 29 أيلول / سبتمبر 1918<sup>(73)</sup>. أوضح القلقيلي أنّ سوء الفهم القائم والقلق بين السكان تجاه الحكومة أساسه القضية اليهودية. وأشار إلى أنّ أهل السكان في أن تساعدهم الحكومة البريطانية في وجه الأتراك. وأشار أيضاً إلى شعور السكان بخيبة أمل من الإنكليز فور نشر التصريح، ومن إتاحة المجال للقيادات الصهيونية بالتحرك في مدن فلسطينية.

مقابل المراقبة القوية البريطانية لما كان ينشره العرب، نشطت الدعاية التركية والألمانية في نقل صورة عن تأثير اليهود في الإنكليز، ومعاملة السكان المحليين بإهانة وقمع. وجدت بريطانيا نفسها أمام معضلة كبيرة جداً؛ فهي لا تزيد التنازل والتراجع عن التصريح، وفي المقابل تزيد التوفيق بين اليهود والعرب. ولكن العرب والفلسطينيين يرفضون ذلك.

## خامساً: مواجهة التصريح من هدنة الحرب إلى انطلاق مؤتمر فرساي

تم توقيع هدنة بين الحلفاء والأتراك، في 30 تشرين الأول / أكتوبر 1918. وبعد ثلاثة أيام، تم عقد مؤتمر الاتحاد الصهيوني البريطاني، في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1918، وهو يوم الذكرى الأولى للتصريح. فبادر وايزمان إلى التصريح بما يلي: "أرض إسرائيل كلّها تحررت في الوقت الحاضر". وأضاف قائلاً إنّ أحداً مهمّة جدّاً ستحدث وستكون معقدة أكثر مما لمسته البعثة الصهيونية، ولكنه يرى أنّ الظروف المحيطة ستكون إيجابية لإقامة الوطن القومي اليهودي. وقدّم وايزمان ورقة مقترفات<sup>(74)</sup> إلى سيسيل روبرت (في 9 كانون الثاني / يناير 1918)، وأبرز نقاطها<sup>(75)</sup>:

72 "مذكرة هوغارث إلى الخارجية البريطانية، في 8/2/1918: F.O. 3713381146256.

73 "أوراق المكتب العربي": F.O. 882/14.

74 خلة، ص 90.

75 F.O. 3713395/182871/11053. F

- ✿ أن تبقى البعثة الصهيونية هيئة استشارية للسلطات البريطانية في كل ما يتعلق بأحوال اليهود.
- ✿ أن تسعى الحكومة لتشجيع مشاركة اليهود في الإدارة المحلية في فلسطين.
- ✿ الاعتراف باللغة العربية لغة للشعب اليهودي في فلسطين.
- ✿ تعيين لجنة أراضٍ يكون في عضويتها أعضاء من البعثة الصهيونية لتفحص تملك الأراضي ومساحتها ومراجعة سجلاتها وتصنيف أنواعها، وإعادة النظر في قوانين الأراضي، وتعديل ما يلزم وإرسال خبراء رئيسيين.
- ✿ مساعدة البعثة في إقامة علاقات مع العرب.

باختصار، "دولة داخل دولة"<sup>(76)</sup>. وإن "البعثة الصهيونية كانت تنمو تدريجياً لتصبح جهازاً يحمل شبهها واضحاً لإدارة مستقلة قادرة على السيطرة على الإدارة القائمة"<sup>(77)</sup>. وجاء رد كاليتون بما يشير إلى عدم معارضته لها، ما عدا مسألة الأرض التي اعتبرها من مهمات الإدارة المدنية، وليس العسكرية<sup>(78)</sup>.

أمارأي كاليتون، وكذلك سايكيس، فكان متمثلاً بعدم منح اليهود مزيداً من الامتيازات؛ ما قد يؤدي إلى مزيد من التزاع بين اليهود والعرب. وقد كان همه التوفيق بين العرب واليهود، لكنه فشل في سياسته هذه.

في حين أدرك سايكيس أنّ هم اليهود هو معرفة حدود فلسطين ليقوموا بتطبيق التصريح، أراد العرب معرفة الهدف الصهيوني: أهو إقامة دولة يهودية أم ماذ؟

والسؤال: لماذا كان سايكيس قلقاً من هذه المسألة تحديداً؟ قلقه ليس لمصالح العرب، وإنما للمشروع الصهيوني؛ فهو لا يطلب من القيادة الصهيونية التنازل عن أي شيء، والإجابات ستكون في مؤتمر السلم. فنصيحة سايكيس لوايزمان بزيارة أخرى لفلسطين، كانت لأجل تحسين صورة الصهيونية، وتخفيف القلق والتوتر في أوساط الفلسطينيين.

وعقدت البعثة الصهيونية مؤتمراً لها في يافا، في كانون الأول / ديسمبر 1918، بإذن من السلطات العسكرية، وقد كان موضوعه "وضع خطة الحكومة المؤقتة في فلسطين" و"اعتبار فلسطين وطنًا قومياً يهودياً، وأنّ يكون لليهود كامل الحق في تقرير شأنه"<sup>(79)</sup>. وكان رد الفعل العربي تنظيم مؤتمر في القدس في مطلع عام 1919، والمطالبة بحكومة دستورية مستقلة استقلالاً داخلياً تتباين مع رغائب السكان<sup>(80)</sup>.

لم يكتفي وايزمان بزيارة فلسطين، بل طالب بريطانيا بمزيد من التنازلات لضمان التصريح. وأشار إلى رفضه قبول كومنولث داخل الدولة العربية السورية، بل إنه تمسّك بالتصريح<sup>(81)</sup>. وعرفت المخابرات البريطانية بما يجول في أروقة الصهيونية، فأعلمته كاليتون بأهمية تجنب أي خطوة قد تزيد من مخاوف العرب عشية الاستعداد لمؤتمر السلم. وطلب من وايزمان التحلّي بالصبر في التعامل مع الأغلبية السكانية في فلسطين.

76 الهندي، ص 49.

77 المرجع نفسه، ص 53، عن تقرير لجنة بالين .The Palin Report

78 F.O. 371/3396/1828/7/11053.

79 خلة، 104.

80 المرجع نفسه، ص 105.

81 Stein, p. 624, 625.

مقابل سياسة المهادنة البريطانية، بادر وايزمان إلى تفعيد تحركاته استعداداً للمؤتمر. فافتتح مكتباً في باريس وشكل الوفد الصهيوني للمؤتمر. أما العرب فمثّلهم فيصل الذي واجه صعوبات من فرنسا، وإهاماً مقصوداً من الإنكليز وضغوطاً من الصهيونية. ولكن الصوت الفلسطيني الوحيد الذي عبر عن رأي الشعب الفلسطيني كان صوت الجاليات الفلسطينية في أميركا، وخصوصاً في المكسيك؛ إذ قدم عدد من أبناء الجالية عريضة إلى السفارة البريطانية في العاصمة<sup>(82)</sup>، ورسالة احتجاج إلى الرئيس ويلسون حول تسليم فلسطين لليهود، وأشاروا إلى نقاط ويلسون، وخصوصاً حق تقرير المصير. ومن ثم، رفض الادعاء المتمثل بأن اليهود حقاً تاريخياً في فلسطين. واعتبرت العريضة أن اليهود من مكونات مواطني فلسطين، لكن الحكومة البريطانية لن تأبه لهذا الصوت المعارض واللافت.

أما في الولايات المتحدة الأميركيّة، فتأسست "الجمعية الفلسطينيّة لمقاومة الصهيونية"<sup>(83)</sup> في نيويورك. واللافت إرسال الجمعية رسالة إلى بلفور، في 16 تشرين الثاني / نوفمبر 1918، موقعة من مندوبي فلسطين<sup>(84)</sup>، اعتبرت أن القضية الفلسطينيّة مصرية. وفندت الرسالة مزاعم الصهيونية المتعلقة بحقها التاريخي، وعكسَت تمثّل الفلسطينيين بأرضهم، ورفضهم لأي حكم غريب. واعتبرت الرسالة الصهيونية حركةً متعصبةً ومنغلقةً على ذاتها، وطالبت بلفور بإٍتاحة المجال لـإسماع صوتها في المؤتمر، إلا أنّه رفض، هو وخارجيته، هذا الطلب.

طلّبت الجمعية بالإبقاء على فلسطين جزءاً من سوريا، وتأكيد حقوق اليهود بصفتهم مواطنين، لكن المعارضة البريطانية منعت إسماع صوت مغاير لتلك التي أرادتها من بين العرب. هنا، يمكن ملاحظة توجّهين للصهيونية: الأول توجّه سياسي لتطبيق إقامة دولة يهودية في فلسطين، والثاني يقوم على التعاون مع العرب لحذف موقعهم المعارض، ومن ثمّ سيطرة اليهود على فلسطين.

ولمنع بروز معارضة عربية وفلسطينية للمشروع الصهيوني للتصرّيف، روجت الدعاية الصهيونية فكرة قبول العرب بالدولة اليهودية، وأنّ العرب سيكونون جزءاً منها بقبوّلهم قوانينها. وفي هذه الدعاية توجّه استعماري صرف بتحويل السكان الأصليين إلى مواطنين لنظام دولة عرقي.

تتمثّل الإشكالية المركزية، خلال فترة الاستعداد للمؤتمر، في كيفية تحويل فلسطين إلى بلد يهودي وخلق دولة اصطناعية تُفرض على سكان معادين لها<sup>(85)</sup>. وإنّ ما حاولت الصهيونية تصوّره هو وجود فراغ سكاني في فلسطين، وأنّ المشهد العام هو تخلّف سائد فيها، وأنّ الصهيونية لديها مشروع إنماء وتطوير يحول البلد إلى بلد حضاري، وأنّ حضور اليهود الغربيين بصفتهم مستوطنين سيخلق واقعاً مغايراً<sup>(86)</sup>.

اعتقدت الصهيونية أنّ تطبيق مشروعها سيكون سهلاً، وأنّ الحركة القوميّة العربيّة ستكون في حالة ضعف وسيتم توجيه نظرها نحو الحجاز والعراق وسوريا، وليس نحو فلسطين، وأنّ معارضة الفلسطينيين سيتم امتصاصها مالياً. لكنّ تبيّن أنّ المعارضة غير محصورة في الأندية والوجهاء، بل بالعكس؛ بين الشعب.

وعشيّة افتتاح مؤتمر السلم، حصل تجاهل مقصود من بريطانيا للعرب، بينما توافقت مصالحها مع الصهيونية في فلسطين. لقد كان التحالف قوياً بين الصهيونية وأعظم قوة في العالم في ذلك الوقت ضدّ شعب أعزل وفقير.

<sup>82</sup> "عربيّة بتاريخ 19 تشرين الثاني / نوفمبر 1918"، في: قاسمية، ص 389.

<sup>83</sup> The Palestine Antizionism Society.

<sup>84</sup> F.O. 371/3420/206456/205922 F.

<sup>85</sup> "تقرير وليم بيل رقم 4، في 19 تشرين الثاني / نوفمبر 1917"، في: منسي، ص 228-238.

<sup>86</sup> "تقرير وليم بيل رقم 20، آذار / مارس 1918"، في: منسي، ص 226-273.

## خلاصة

واجهت القيادة العسكرية البريطانية وضعًا حسّاسًا في فلسطين وسوريا إزاء عدم وضوح السياسة البريطانية تجاه مستقبل فلسطين والبلاد العربية، وإزاء تزايد القلق العربي والفلسطيني من إصرار البعثة الصهيونية برئاسة وايزمان على تنفيذ التصريح. وساد شعور لدى القيادة العربية بأن بريطانيا تنكث عهودها، وأنها ماضية في تطبيق التصريح.

مقابل ذلك دار نقاش سياسي خلال عام بداية من نشر التصريح حتى افتتاح مؤتمر السلام. كان التوجه البريطاني هو تقرير وجهات نظر الطرفين العربي واليهودي للتعاون بينهما، لكن كل طرف كان متمسكًا بموافقه، وشكوكه.

كانت محاولات بريطانيا عبارة عن مناورات سياسية وميدانية لتسخير أمور فلسطين والبلاد العربية المحيطة حتى تضع الحرب أوزارها<sup>(87)</sup>. ولما انتهت الحرب، تبدل سلوك بريطانيا، وأصبح لصالح الصهيونية، وتطبيق التصريح.



## References

## المراجع

### العربية

- أنطونيوس، جورج. *يقظة العرب*. بيروت: دار العلم للملائين، 1978.
- أوراق المكتب العربي في القاهرة: 14/882 .
- الحروب، أحمد. "دور الجمعيات الإسلامية - المسيحية في الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة ما بين 1918-1931". رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة النجاح. نابلس، فلسطين، 2001.
- خلة، كامل محمود. *فلسطين والانتداب البريطاني 1939-1922*. بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، 1974.
- العوسيي، عبد الفتاح. *جذور القضية الفلسطينية (1922-1799)*. الخليل: دار الحسن، 1992.
- فرومكين، دافيد. *سلام ما بعده سلام؛ ولادة الشرق الأوسط 1922-1914*. لندن: دار رياض الريس، 1992.
- قاسمية، خيرية. *النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه*. بيروت: مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، 1973.
- الكيالي، عبد الوهاب. *تاريخ فلسطين الحديث*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1985.
- منسي، محمود. *تصريح بلفور*. القسم الثاني. بيروت: دار الفكر العربي، 1970.
- المهتدى، عبلة. *القدس والحكم العسكري 1920-1917*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2003.
- الهنيدى، سحر. *التأسيس البريطاني للوطن القومى اليهودي: فترة هربرت صموئيل 1925-1920*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003.

### الأجنبية

- *Arab Bulletin* (30/4/1918).
- F.O. 371/3395/137853.
- F.O. 371/3395/105824/27647.
- F.O. 371/3381/123863/146 F.
- F.O. 371/3395/18287/11053. F.
- F.O. 371/3396/18287/11053.
- F.O. 371/3420/206456/205922 F.
- F.O. 371/3398/92392.
- F.O. 371/3395/98470/11053.
- F.O. 371/3395/100176/11053.
- F.O. 371/3395/98470/11053.

- F.O. 371/3054/235780.
- F.O. 371/3398/27647.
- F.O. 311/3062/228698.
- F.O. 371/3054/235200/34175 F.
- F.O. 371/3398.
- Khalidi, Walid (ed.). *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*. Beirut: Institute for Palestine Studies, 1971.
- Stein, Leonard. *The Balfour Declaration*. London: Valentine-Mitchell, 1961.
- Wasserstein, Bernard. *The British in Palestine, the Mandatory Government and the Arab Jewish Conflict, 1917-1929*. Oxford: Blackwell publishers, 1991.
- Storrs, Ronald. *Orientations*. London: Nicholson & Watson, 1937.
- Yehoshua Porath. *The Emergence of the Palestinian - Arab National Movement, 1918-1929*. London: Cass, 1974.